

تكريم آل جوني للدكتور عبد الرؤوف سنّو

لقد حصلت، وبكل فخر، وبمنزلي هنا، على هذه الفرصة التي أقف فيها أمام قلة من أخلص محبيك، وأمامك أنت كواحد من أهم أعمدة التاريخ المعاصر في لبنان، وفي العالم العربي، أمامك أنت يا دكتور عبد الرؤوف يا أيها الصديق والقريب، لأقول فيك وبصوت عالٍ، ما كنت أقوله لك همساً عبر الهاتف، الذي لم ينقطع أبداً بيننا، أو وجه لوجه في مناسباتٍ عائليةٍ عديدة.

كنت أقولها همساً، وفي كثير من الأحيان، كنت أصمت، لا خوفاً ولا وجلًا من أحد، مهما كان هذا الأحد. إلا أنني كنت اعتبر أن الصمت في تلك اللحظات، هو كلامٌ بحد ذاته، وفي كثير من الأحيان أبلغ من الكلام، وقد كان نابعاً من الغضب والامتناع، على عدم تكريمك في وطنك لبنان، لا من أجل رفعة لشخصك، لأنك أنت، وبجهدك وعملك الدؤوبين، قد ارتقيت إلى أعلى مستويات العلم والمعرفة والثقافة، وليس كذلك من أجل حفنة من المال، خوفاً من أن يكون هذا المال، يحمل شروطاً تقف سداً أمام ضميرك المهني.

فالتكريم كما كنا نريده، هو أن يكون عربون احترام وتقدير، لأنك أغنيت المكتبة اللبنانية والعربية، حتى العالمية، بمجموعة من المعلومات، لم يسبقك إليها أحد، بالرغم مما عانيت، ولم تنزل تعاني من أوجاع في ظهرك، وآلام في يدك اليسرى، وسببها كثرة الجلوس للكتابة على الكمبيوتر، لتقدم للتاريخ ولكل طالب علم أو باحث، نبعاً غزيراً من المعرفة، لبعض جوانب الحرب اللبنانية البغيضة، من سنة 1975 وحتى سنة 1990، ونجحت في ذلك، نجحت لأنك أرخت من دون انحياز لعلمك، بأن التاريخ هو ملكٌ للتاريخ فقط، وملكٌ لمن سيأتي من بعدك ليستنير بكتاباتك، ففرضت على نفسك أن تكون وفيّاً لما تكتب، لأن التاريخ ليس حكراً أو غطاءً لأحد، والباحث في التاريخ، عليه أن يحافظ على حق التاريخ، لأن للتاريخ حق، وعلى كل باحث أن يحترمه ويقدره بالصدق والإخلاص والترفع، وأن يبقى بعيداً متجرداً عن الميول والأهواء السياسية. وهكذا أنت يا دكتور عبد الرؤوف، بقيت صادقاً شامخاً، قوياً، كجلمود صخر لا تلين، ولم تلتن أيضاً، تحت أي تأثير مادي أو ترغيب أو ترهيب مذهبي، أو حتى

منصبٍ معنوي، وقد قلت لي في إحدى اللقاءات: "يا أبو كريم، لن اسخّر ضميري من أجل أي كائن من كان، أو من أجل أي إغراءٍ مهما كان".

موقفك الصادق هذا، هو بحد ذاته تكريمٌ عظيمٌ من ذاتك لذاتك، ومن ذات من قدرك وأحبك لذاتك، وهما أصدق وأنبأ وأرفع، من أي تكريمٍ يخضع لشروطٍ لا تمّت إلى قيم التكريم بصلة، وصمدت صمدت بالبرد القارس في حزن الوطن، حتى أتاك الدفء من حزن خارج حدود الوطن، وبالذات من ذاك الإنسان الإنسان، وذاك الرجل الرجل، الذي هو أكبر من كثير من الرجال، ألا وهو الأمير منصور بن زايد بن سلطان آل نهيان، ليحي فينا الأمل الذي أوشكنا أن نفقده، بأنه لم يزل هناك في العالم العربي رجالاً تعترف بالعلم وتقدره، وتقدر من كتبه، من دون أية منةٍ أو أي اعتبار مذهبي، أو دينيٍ أو عقائديٍ أو جغرافي، بل لأنك أنتَ وبكل تجرد، وباعتراف نخبة من المفكرين الذين قيموا كتابك (حرب لبنان)، والذين لا يربطك ببعضهم دين، أو وطن، ولا حتى عقيدة سياسية، ونلت على إثر هذا التقييم التكريم الكريم.

مبروك عليك تكريمهم الذي استحقته بجدارة، أما تكريمي أنا وعائلتي لك، فأرجو منك أن تعتبره، يا دكتور عبد الرؤوف، وبكل تواضع، جزءاً صغيراً من تكريمٍ كبير، كان قد ضاع في أروقة الجهل في وطنك الأم، آملاً من دولتنا أن تصحو من كبوة الإهمال، لأن التاريخ لن يرحم المهملين.

عشتم وعاش لبنان.

المهندس مصطفى جوني

بيروت في 2011/03/26